ختام الحج

لوعة حاج:

وودّعتِ الحجاجُ بيتَ إلهنا

وكلهم تجري من الحزن عيناه

فلله كم باكٍ وصاحب حسرة

يود بأن الله كان توفاه

فلو تشهد التوديع يوما لبيته

فإن فراق البيت مرّ وجدناه

فما فرقة الأولاد والله إنه

أمرّ وأدهى ذاك شيء خبرناه

فمن لم يجرّب ليس يعرف قدره

فجرّب تجد تصديق ما قد ذكرناه

[الأمير الصنعاني]

كيوم ولدته أمه:

«**من حجَّ للهِ فلم يرفث، ولم يفسق، رجعَ كيومِ ولدتهُ أمّهُ**» متفق عليه. أي: صفحة بيضاء بغير ذنب، إنما هي لمن كان حجه مبرورا، فإن كنت من أهلها فما أحراك أن تحرص على المحافظة على نقاء صفحتك، وإن لم تكن منهم فتدارك الهفوات قبل الفوات. قال ابن أبي رواد: «أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهمّ: أيقبل منهم أم لا؟» لطائف المعارف (ص٢٠٩).

وقلوبهم وجلة:

مضت مواسم عظيمة للطاعات والأعمال الصالحات، فالمؤمن جمع إحسانا وخشية من العذاب، والمنافق جمع إساءة وأمنا من العذاب. وسألت عائشةُ النبيَّ ﷺ عن قول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال لها: «لا، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا تقبل منهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾». رواه الترمذي (٣١٧٥)، وصححه الألباني.

ختام المناسك:

جعل الله ختام المناسك الأمر بذكره فقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وذلك ليظل المسلم على عهد الاستقامة

والصلاح، ويواصل المسيرة في درب التقوى والفلاح، وإن شخصا هذا حاله في هذه الأيام لجدير به أن يواصل بعد حجه ما كان منه في حجه، من إقامة لذكر الله، وتذلل بالعبودية له.

كان عمله ديمة:

قبل الوداع أكثرت من الأدعية والأذكار، فاجعلها عادة لا موسما منقطعا، سألت عن أحكام حجك بشغف، فليكن ديدنك في أمور حياتك كلها، احترزت عن محظورات الإحرام، فلتكن أكثر احترازا وبعدا عن الحرام، أصابتك بعض المشاق، فلا تضيع أجرها بإكثار الشكاية واللوم، العجب والرياء محبطات للأعمال، والسلامة في إخفاء ما كان بينك وبين مولاك من تضرع وبكاء وافتقار.

ألم تحج؟

من حج فقد استكمل أركان الإسلام الخمسة، فكيف يسعى في هدم البنيان؟ حج أحد الذين تقدّموا فهمّ بعد الحجّ بفعل معصية فناداه إنسان: ويلك ألم تحجّ؟! فعصمه الله بهذه الكلمة واستمر على الطاعات.

من مكاسب الحج:

كان الحج فرصة عظيمة للتعود على أداء الواجبات، كصلاة الفجر جماعة، وترك المحرمات، كسماع الغناء، وفساد القنوات.

وكان فرصة لتعويد النفس على مخالفة المألوف، بالتجرد من الملابس المعتادة، والنوم في العراء، وفوق الحصى والحجارة في مزدلفة، وتحمل إزعاج الآخرين، والبرد، والبعوض، والوقوف انتظارا عند دورات المياه. وهذا مكسب مهم يستعان به في أمور الحياة.

النقيعة والتحفة:

لا بأس أن يعمل أهل الحاج وجيرانه وأصدقاؤه مأدبة احتفاء بما منَّ الله عليه من إكمال مناسك الحج، ولا حرج أن يصنع الحاج ذلك، ويدعو إليه من شاء، وما يصنعه الحاج يسمى «النقيعة»، وما يصنع لقدومه يسمى «التحفة».

حتى الشوكة يشاكها:

يصاب كثير من الحجاج بعد رجوعهم بأعراض من الالتهابات والرشح، وقد تطول مدتها، وهذا إن شاء الله مما يتمم الأجر، ويسد الخلل، ويكفر الذنب، فـ«**ما يصيبُ المسلمَ من نصبٍ، ولا وصبٍ، ولا همٍّ، ولا حزنٍ، ولا أذًى، ولا غمٍّ، حتّى الشّوكة يشاكها إلّا كفّرَ اللهُ بها من خطاياهُ**» رواه البخاري (٥٦٤٢)، فكيف إذا كانت بسبب طاعة لله تعالى؟!

وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.